

www.ikhwanweb.com

Ikhwanweb Tarjamat

IkhwanScope.com

القاعدة تفقد طموحاتها السياسية

قضت الدولة البوليسية في مصر على نشاط الراديكاليين الإسلاميين الذين حكموا فيما مضى أحياء مثل امبابة.

دان ميرفي - كاتب في الكريستيان ساينس مونيتور - القاهرة

ارتجف عبدالله ملة و هو يسترجع ذكريات التسعينات عندما ضربت زوجته في الشارع لأنها كانت ترتدي الجينز و زاره بعض البلطجية الذين عبروا عن قلقهم لعدم مواظبته على الصلاة في المسجد.

كانت امبابة حينئذ مكانا يخشاه ضباط الامن و يحكمه المسلحون.

و يمكن أن تكون أحياء مثل تلك قد اعتبرتها القاعدة أرضا خصبة للوصول إلى هدفها ببناء حركة دولية لكونها تروق إلى المسلمين الملتزمين. و لكن بعد مرور ستة اعوام على أحداث 11 سبتمبر يبدو أن جماعة أسامة بن لادن لم تجذب سوى القليل من الاتباع في هذا المكان، و في الواقع لم يعد هناك الان أي من المسلحين الذين سيطروا على امبابة سابقا.

ما حدث في مصر يعكس قصة نجاح دائما ما تغيب عن اذهان الكثير من العالم العربي. فمن الصعب ان يسيطر الاسلاميون المسلحون على الحكم في اي من الدول العربية على الرغم من تزايد الغضب الاسلامي تجاه الولايات المتحدة و حلفائها العرب في اعقاب الحرب على الارهاب التي اعقبت احداث 11 سبتمبر ومساعدة الحرب على العراق القاعدة في تجنيد المزيد من المقاتلين.

و لكن هذا لم يكن بلا ثمن، و القصة المصرية ستوضح كيف ساعد جهاز امني منيع (و قاسي في الكثير من الاحيان) على إقصاء المسلحين الاسلاميين.

اليوم لا تختلف الاجراءات الامنية المكثفة في امبابة عن بقية الاماكن في مصر. و على الرغم من ذلك لا زال الاسلام السياسي يحظى بتأييد شعبي لدي ملايين المصريين، و اغلبهم يؤيدون الاخوان المسلمين و هي منظمة نبذت العنف منذ عقود.

فهنالك بالطبع استثناءات للقوة التي يتمتع بها الاسلاميون المسلحون في اجزاء كبيرة من المجتمع العربي.

فحماس التي تسيطر على قطاع غزة تصنفها الولايات المتحدة و الاتحاد الاوروبي و اسرائيل على قائمة الحركات الارهابية. و لكن اتجاهها السياسي يختلف جذريا عن اتجاه القاعدة لأنها

تستخدم العنف لتأخذ بعض الاراضي التي تسيطر عليها اسرائيل و لا تهدف مثل القاعدة الى اقامة خلافة اسلامية.

و في مصر تتبع سياسة الامن الحازمة في التعامل مع الجماعات الراديكالية من اشمئزاز الشعوب العربية من العنف العشوائي و السلوك الهمجي الذي تتبناه القاعدة.

و كما يقول ضياء رشوان الباحث في مركز الاهرام للدراسات الاستراتيجية و الخبير في الاسلام السياسي: " بالطبع توأجت هذه الحركات لمدة طويلة من الزمن و لكن الشعب اكتشف خشونتهم و تعصبهم الايديولوجي. فطرقهم في التعامل لم تكن تهدف لكسب الناس و لكن لفرض ايديولوجيتهم على الناس بالقوة و هذا غير محبب لدى اي شعب في العالم."

نقطة التحول لامبابة

بدا الوضع في عام 1992 منذرا بسوء. فمنذ اكثر من 10 اعوام اغتيل انور السادات على يد حركة الجهاد الاسلامي في مصر باستخدام اعضاء في الجيش نجحت في تجنيدهم. و كان الطبيب المصري ايمن الظواهري قائدا بارزا في المنظمة و قد صار الان القيادي الثاني في تنظيم القاعدة. و في الثمانينات قام هذا التنظيم بالاشتراك مع الجماعة الاسلامية (المحكوم على زعيمها الروحي الشيخ الكفيف عمر عبد الرحمن بالسجن المؤبد في الولايات المتحدة لدوره في هجمات مبنى التجارة العالمي عام 1993) في استهداف المسؤولين لاغتيالهم, و في التسعينات اتجه لشن هجمات ارهابية موسعة.

عام 1992 بدأ قيادي الجماعة الاسلامية المثير للقلق جابر محمد علي في ابلاغ الصحفيين ان رجاله حرروا امبابة من قبضة الدولة و تعهد ان يحدث ذلك في كل انحاء مصر. و لكن حكومة الرئيس حسني مبارك لم تعد قادرة على الصمت و في ديسمبر من نفس العام اقتحمت الاف القوات حي امبابة وقاموا بتطويقها و استمروا لمدة شهر في اعتقال المئات.

في هذا الوقت اعتقد البعض ان مصر على اعتاب ثورة اسلامية. و لكن في الحقيقة ادت الاستراتيجيات العنيفة للشيخ جابر و رجاله الى عزوف المتدينين المصريين عن تأييدهم و شهد شهر ديسمبر بداية الهزيمة النكراء للثوريين المسلحين.

يقول ضياء رشوان: "سأم الكثير من المتدينين من حصارهم و تهديدهم في كل الاوقات. كثير من الناس يريدون ان ترتدي النساء الحجاب أو ان تكون دولتهم اسلامية, و لكن الجماعة كانت تخرج الى الشوارع بالسكاكين و السلاسل, و كانوا يحرقون محاللات الفيديو و الكوافير."

شهدت موجة العنف تلك ذروتها في هجمات الاقصر عام 1997 عندما قتل 58 سائح و أربعة مصريين على يد عصابة مسلحة. و قد أدى هذا العمل الى ردة فعل عنيفة من الشعب المصري و تدهور اقتصاد الصعيد الذي يعتمد على السياحة.

و لا يمكن ان نتجاهل دور القمع الذي قامت به الحكومة في السيطرة على تلك الحركات. ففي التسعينات اعتقلت الحكومة الالاف اما بسبب المساجد التي يصلي بها البعض او بسبب لحيتهم, و هناك ايضا تقارير موثقة عن تعذيب معتقلي التيارات المسلحة في السجون المصرية.

و يقول يحيى فكري الكاتب في جريدة الدستور: "اكثر ما يمكن ان يؤدي هذه الجماعات هو القمع الحكومي, فبدونه كانوا سيحتفظون ببعض القوة. و لكن الوجه الاخر من العملة هو ان جماعات معتدلة مثل الاخوان المسلمون استطاعت ان تحتوي مؤيدي تلك الجماعات."

الوسائل القهرية للحكومة

استخدمت الحكومة تكتيكات مشابهة في الثلاثة أعوام الأخيرة ردا على سلسلة من الهجمات الارهابية داخل مصر, ولكن الحكومة تعتقد ان هذا الاسلوب اثبت فعاليته على الرغم من ادانته من قبل منظمات حقوقية مثل هيومان رايتس ووتش.

افرجت الحكومة العام الماضي عن حوالي ألف معتقل ينتمون للجماعة الاسلامية بعدما اعلن قادتها تخليهم عن العنف حتى أن بعضهم وصف السادات بالشهيد.

و هذا العام افرجت الحكومه عن ما يقرب من 100 معتقل من الجهاد الاسلامي عندما نشر مؤسس الجماعى مقتطفات من كتاب له يعلن عن توقفهم عن ممارسة العنف باسم الدين. و هذا يعد تحولا كبيرا عما ذكره في كتابه السابق "أسس التحضير للجهاد" الذي كتبه بعدما حارب مع الطواهري و بن لادن في افغانستان و الذي وصفه البعض بـ"إنجيل الجهاديين".

كل هذا لا يعني أن الاسلام لم يعد قوة سياسية كبيرة في المنطقة خاصة أن معظم تيارات المعارضة القوية في العالم العربي ذات طبيعة إسلامية.

و لكن هذه الجماعات (يمثلها الاخوان) اختارت أن تعمل من داخل الأنظمة القائمة, و أن تتحرك ببطء لبناء قاعدة شعبية مستخدمة شعار التغيير التدريجي.

يقول رشوان: "ان فكرة ان تكون راديكاليا تزعج الكثيرين في العالم, و لكن الاخوان عملوا باستراتيجية طويلة المدى و ركزوا على مشاكل الناس اليومية و احتياجاتهم, و ليس لديهم أحلام خطيرة مثل الثوريين و هذا ما يدفع الناس الى تأييدهم."

و كما يقول ملة أصبحت امبابة أكثر تقسيما مما كانت عليه في شبابه . "كان كل شيء على ما يرام حتى السبعينات, فقبل ذلك كان صديق والدي المقرب يهوديا. و كان الاثتراكيون العلمانيون هم المعارضة الرئيسية في هذه المنطقة, و لكن أدت الأزمة الاقتصادية التي يعاني منها الناس و قلة فرص العمل الى تمسكهم بالاسلام كخيار وحيد"

يتفق فكري أنه من رابع المستحيلات أن يحدث انقلاب إسلامي عنيف على الحكم , و لكنه يعرب عن قلقه من احتمال حدوث موجة أخرى من العنف الاسلامي و بخاصة مع تزايد حملة الحكومة ضد الاخوان.

ويقول: "يمكن أن تظهر جماعات عنف أخرى إذا لم تتوقف موجة العنف الحالية و اذا لم تؤدي الجهود الديمقراطية إلى أي نتيجة ملموسة. فالمشكلة هي أنه اذا أغلق الباب في وجه الاصلاح (كما هو الحال الان) سيفقد الاخوان السيطرة على بعض أعضائهم."